

{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ} (1)

{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ}، أراد فتح مكة.

و كانت قصته - على ما ذكر محمد بن إسحاق و أصحاب الأخبار - أن رسول الله صلى الله عليه و سلم لما صالح قريشاً عام الحديبية، و اصطلحوا على وضع الحرب بين الناس عشر سنين، يأمن فيهن الناس، و يكف بعضهم عن بعض، و أنه من أحب أن يدخل في عَقْد رسول الله صلى الله عليه و سلم و عهده دخل فيه، و من أحب أن يدخل في عَقْد قريش و عهدهم دخل فيه، فدخلت بنو بكر في عقد قريش، و دخلت خِزَاعَةُ في عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم، و كان بينهما شرٌّ قديم.

ثم إن بني بكر عَدَّتْ على خزاعة، و هم على ماء لهم بأسفل مكة، يقال له "الْوَتِير"، فخرج نوفل بن معاوية الدؤلي في بني الدَّئِل من بني بكر حتى بَيَّتْ خزاعة، و ليس كلُّ بكرٍ تابعه، فأصابوا منهم رجلاً و تحاربوا و اقتتلوا، و رفدت قريش بني بكر بالسلاح، و قاتل معهم من قريش من قاتل مستخفياً بالليل، حتى حازوا خزاعة إلى الحرم، و كان ممن أعان بني بكر من قريش على خزاعة ليلتئذ بأنفسهم متنكرين: صفوان بن أمية، و عكرمة بن أبي جهل، و سهيل بن عمرو، مع عبيدهم فلما انتهوا إلى الحرم قالت بنو بكر: يا نوفل إنا دخلنا الحرم، إلهك إلهك، فقال كلمة عظيمة: إنه لا إله لي اليوم، يا بني بكر أصيبوا ثأركم فيه.

فلما تظاهرت قريش على خزاعة و أصابوا منهم ونقضوا ما بينهم و بين رسول الله صلى الله عليه و سلم من العهد بما استحلوا من خزاعة - و كانوا في عقده - خرج عمرو بنُ سالم الخزاعيُّ حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة، و كان ذلك مما هاج فتح مكَّة، فوقف عليه و هو في المسجد جالس بين ظَهْراني الناس، فقال:

حَلَفَ أَيْنَا و أَبِيهِ

لَاهِمِ إِنِّي نَاشِدٌ مُحَمَّدًا

الْأَتْلَدَا

إِنَّ قَرِيشًا أَخْلَفُوكَ الْمَوْعِدَا و نَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمَوْكَّدَا

الآيات كما ذكرنا في سورة التوبة.

فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: **"قد نُصِرْتَ يا عمرو بن سالم"**، ثم عرض لرسول الله صلى الله عليه و سلم عنان من السماء، فقال: **"إن هذه السحابة لتستهلُّ بِنَصْرِ بَنِي كَعْبٍ"**، و هم رهط عمرو بن سالم.

ثم خرج بُدَيْلُ بن وَرْقَاء في نفرٍ من خزاعة، حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه و سلم فأخبروه بما أصيب منهم و بمظاهرة قريش بني بكر عليهم، ثم انصرفوا راجعين إلى مكة، و قد كان رسول الله صلى الله عليه و سلم قال للناس: كأنكم بأبي سفيان قد جاء لِيَشُدَّ الْعَقْدَ و يزيد في المدة.

و مضى بديل بن ورقاء فلقي أبا سفيان بَعْثَفَانَ، قد بعثته قريش إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، لِيَشُدَّ الْعَقْدَ و يزيد في المدة، و قد رهبوا الذي صنعوا، فلما لقي أبو سفيان بُدَيْلًا قال: من أين أقبلت يا بُدَيْل؟ و ظنَّ أنه قد أتى رسول الله صلى الله عليه

و سلم، قال: سرت إلى خزاعة في هذا الساحل و في بطن هذا الوادي، قال: أوما أتيت محمداً؟ قال: لا، فلما راح بُدَيْل إلى مكة قال أبو سفيان: لعن كان جاء المدينة لقد علف ناقته بها النَّوى، فعمد إلى مَبْرُك ناقته فأخذ من بعوها ففتته فرأى فيه النَّوى، فقال: أحلف بالله لقد جاء بُدَيْلٌ محمداً.

ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة، فدخل على ابنته أمِّ حبيبة بنتِ أبي سفيان، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه و سلم طوته عنه، فقال: يا بنية أرغبت بي عن هذا الفراش أم أرغبت به عني؟ قالت: بلى هو فراش رسول الله صلى الله عليه و سلم، و أنت رجل مشرك نجس، فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه و سلم، فقال: و الله لقد أصابك يا بُنَيَّةٌ بعدي شيء.

ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه و سلم فكلمه فلم يرد عليه شيئاً غير أنه قال: نقض أهل مكة العهد.

ثم ذهب إلى أبي بكر فكلّمه أن يكلم له رسول الله صلى الله عليه و سلم، فقال: ما أنا بفاعل، ثم أتى عمر بن الخطاب فكلّمه فقال: أنا أشفع لكم إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم؟! فو الله لو لم أجد إلا الذرّ لجاهدتكم به، ثم خرج فدخل على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، و عنده فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم و عندها الحسن بن علي رضي الله عنهما، غلامٌ يَدُبُّ بين يديها، فقال: يا علي إنك أمسُّ القوم بي رَحِمًا و أقربهم مني قرابَةً، و قد جئت في حاجةٍ فلا أرجعنَّ كما جئتُ خائباً، اشفع لنا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، فقال: و يحك يا أبا سفيان لقد عزم رسول الله صلى الله عليه و سلم على أمرٍ ما نستطيع أن نكلّمه فيه، فالتفت إلى

فاطمة فقال: يا بنت محمد، هل لك أن تأمري بُنَيِّكَ هذا فيجبر بين الناس فيكون سيّد العرب إلى آخر الدهر؟ قالت: و الله ما بلغ بُنَيَّ أن يجبر بين الناس، و ما يجبر على رسول الله صلى الله عليه و سلم أحد، فقال: يا أبا الحسن - إني أرى الأمور قد اشتدّت عليّ فانصحنى، قال: و الله ما أعلم شيئاً يغني عنك، و لكنك سيد بني كنانة، فقم فأجر بين الناس، ثم الحق برضك، قال: أو ترى ذلك مغنياً عني شيئاً؟ قال: لا و الله، ما أظن، و لكن لا أجد لك غير ذلك.

فقام أبو سفيان في المسجد فقال: يا أيها الناس إني قد أجزت بين الناس، ثم ركب بعيره فانطلق فلما قدم على قريش قالوا: ما وراءك؟ قال: جئت محمداً فكلمته و الله ما رد عليّ شيئاً ثم جئت ابن أبي قحافة، فلم أجد عنده خيراً، فجئت ابن الخطاب فوجدته أعدى القوم، ثم أتيت عليّ بن أبي طالب فوجدته ألين القوم، و قد أشار عليّ بشيء صنعته، فو الله ما أدري هل يغنيني شيئاً أم لا؟ قالوا: و ماذا أمرك؟ قال: أمرني أن أجز بين الناس ففعلت، قالوا: فهل أجاز ذلك محمد صلى الله عليه و سلم؟ قال: لا، قالوا: و الله إن زاد عليّ على أن لعب بك، فلا يغني عنّا ما قلت، قال: لا و الله ما وجدت غير ذلك.

قال: و أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم الناس بالجهاز، و أمر أهله أن يجّهزوه، فدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضي الله عنها و هي تصلح بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه و سلم، فقال: أي بُنَيَّة أوكم رسول الله صلى الله عليه و سلم بأن تجّهزوه؟ قالت: نعم فتجهّز، قال: فأين ترينه يريد؟ قالت: ما أدري. ثم إن رسول الله صلى الله عليه و سلم أعلم الناس أنه سائر إلى مكة، و أمرهم بالجد و التهيؤ، و قال:

اللهم خذِ العيونَ و الأخبارَ عن قرش حتى نَبَغَتْهَا في بلادها، فتجهز الناس.

و كتب حاطبُ بنُ أبي بلتعةَ كتاباً إلى قريش - و فيه قصة ذكرناها في سورة الممتحنة - .

ثم استخلف رسول الله صلى الله عليه و سلم على المدينة أبا رُهم كلثومَ بنَ حُصَيْنِ بن خلف الغفاري، و خرج عامداً إلى مكة لعشر مَضِيْنٍ من رمضان سنة ثمانٍ، فصام رسول الله صلى الله عليه و سلم و صام الناس معه، حتى إذا كان بالكديد - ما بين عُسْفَانَ و أَمَجَّج - أفطر.

ثم مضى حتى نزل بمَرِّ الظَّهْرانِ، في عشرة آلاف من المسلمين، و لم يتخلف من المهاجرين و الأنصار عنه أحد، فلما نزل بمَرِّ الظَّهْرانِ، و قد عميت الأخبار عن قرش، فلا يأتِيهم خبر عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و لا يدرون ما هو فاعل، فخرج في تلك الليلة: أبو سُفْيَانِ بن حَرْبٍ، و حَكِيمُ بن حِرَامٍ، و بُدَيْلُ بن ورقاء، يتحسسون الأخبار هل يجلون خبراً؟ و قد قال العباس بن عبد المطلب ليلتئذ: وَا صباح قريش، و الله لئن بغتها رسول الله صلى الله عليه و سلم في بلادها فدخل مكة عنوة إنها لهلاك قريش إلى آخر الدهر.

فخرج العباس على بغلة رسول الله صلى الله عليه و سلم و قال: أخرج إلى الأراك لعلي أرى حطاباً أو صاحبَ لبِنٍ أو داخلاً يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه و سلم فيأتونه فيستأمنونه قبل أن يدخلها عليهم عنوة.

قال العباس فخرجت و إني - و الله - لأطوف في الأراك ألتمس ما خرجت له إذ سمعتُ صوتَ أبي سفيان و حكيم بن حرام و بديل بن ورقاء، و قد خرجوا يتحسسون

الخبر، فسمعت أبا سفيان يقول: و الله ما رأيت كالليلة قطُّ نيراناً، و قال بُدَيْل: هذه و الله نيرانُ خِزَاعَةٍ حَمَشَتْهَا الحرب، فقال أبو سفيان خِزَاعَةُ الْأُمِّ من ذلك و أدلُّ، فعرفت صوتَه فقلت: يا أبا حنظلة، فعرف صوتي فقال: يا أبو الفضل، فقلت: نعم، فقال: مالك فداك أبي و أمي؟ قلت: ويحك يا أبا سفيان هذا، و الله، رسول الله صلى الله عليه و سلم قد جاء بما لا قِبَلَ لكم به، بعشرة آلاف من المسلمين، قال: و ما الحيلة؟ قلت: و الله لئن ظفر بك ليضربنَّ عنقك، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله صلى الله عليه و سلم فأستأمنه، فودفني، و رجع صاحبا فخرجت رَأَكُضَ به بغلة رسول الله صلى الله عليه و سلم، كلما مررت بنار من نيران المسلمين فنظروا إليّ و قالوا: هذا عم رسول الله صلى الله عليه و سلم، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب، فقال: من هذا؟ و قام إليّ فلما رأى أبا سفيان على عَجْزِ الدابة، قال: أبو سفيان عدو الله! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عهد و لا عَقْد، ثم اشتدَّ نحو رسول الله صلى الله عليه و سلم فركضتُ البغلة و سبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء، فاقترحت عن البغلة فدخلتُ على رسول الله صلى الله عليه و سلم و دخل عليه عمر، فقال: "يا رسول الله هذا أبو سفيان عدو الله قد أمكن الله منه بغير عهد و لا عقد، فدعني فلاضرب عنقه، فقلت: يا رسول الله إني قد أجزته، ثم جلست إلى رسول الله فأخذت برأسه و قلت: و الله لا يناجيه الليلة أحدٌ دوني، فلما أكثر فيه عمر رضي الله عنه قلت: مهلاً يا عمر، فو الله ما تصنع هذا إلا أنه رجل من بني عبد مناف، و لو كان من بني عدِّي بن كعب ما قلت هذا. قال: مهلاً يا عباس فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحبَّ إلي من إسلام الخطاب لو أسلم، و ذلك لأني أعلم أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم من إسلام الخطاب لو أسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "اذهب

به يا عباس إلى رَحْلِكَ، فإذا أصبحتَ فَأْتِنِي به"، قال: فذهبت إلى رَحْلِي فبات عندي، فلما أصبح غلوت به إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، فلما رآه قال: "ويحك يا أبا سفيان ألم يَأْنِ لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟" قال: بأبي أنت و أمي، ما أحلمك و أكرمك و أوصلك! و الله لقد ظننتُ أن لو كان مع الله إلهٌ غيره فقد أغنى عني شيئاً بعدُ، قال: ويحك يا أبا سفيان ألم يَأْنِ لك أن تعلم أني رسول الله؟ قال: بأبي أنت و أمي ما أحلمك و أكرمك و أوصلك! أمّا هذه فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً، قال العباس: قلت له: ويحك! أَسْلِمَ و اشهد أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله، قبل أن يضرب عنقك، قال فشهد شهادة الحقّ و أسلم، قال العباس: قلت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يجب هذا الفخر، فاجعل له شيئاً، قال: نعم، مَنْ دخل دار أبي سفيان فهو آمن، و من أغلق عليه بابه فهو آمن، و من دخل المسجد فهو آمن، فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: يا عباسُ احْبِسْهُ بِمَضِيقِ الوادي عند حَطْمِ الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها، قال: فخرجت به حتى حبسته حيث أمرني رسول الله صلى الله عليه و سلم".

قال: و مرّت به القبائلُ على راياتها، كلّمّا مرّت قبيلة قال: من هؤلاء يا عباس؟ قال: أقول: سُلَيْمٌ، قال يقول: مالي و لِسُلَيْمٍ، ثم تمر القبيلة فيقول: من هؤلاء؟ فأقول: مُرَيْنَةُ، فيقول: مالي و لمزينة، حتى نفذت القبائل لا تمرّ قبيلة إلا سألتني عنها، فإذا أخبرته يقول: مالي و لبني فلان حتى مر رسول الله صلى الله عليه و سلم في الخضراء، كتبية رسول الله، فيها المهاجرون و الأنصار، لا يُرى منهم إلا الحدّاق من الحديد، قال: سبحان الله من هؤلاء يا عباس؟ قلت: هذا رسول الله صلى الله عليه و سلم في

المهاجرين و الأنصار، فقال: والله ما لأحدٍ بمؤلاء من قِبَل و لا طاقة، و الله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيمًا، فقال: ويحك! إنها النبوة، قال: نعم إذاً.

فقلت: الحَقِّ الآن بقومك فحدِّرهم, فخرج سريعًا حتى أتى مكة فصرخ في المسجد بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قِبَل لكم به، قالوا: فمه؟ قال: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، قالوا: ويحك و ما تغني عنا درك؟ قال: و من دخل المسجد فهو آمن، و من أغلق عليه بابه فهو آمن، فتفرق الناس إلى دورهم و إلى المسجد.

قال: و جاء حَكِيمُ بن حرام و بُدَيْلُ بن ورقاء إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم بمَرَّ الظهران فأسلما و بايعاه، فلما بايعاه بعثهما رسول الله صلى الله عليه و سلم بين يديه إلى قريش يَدْعُوَانِهِم إلى الإسلام.

"و لما خرج حكيم بن حرام و بديل بن ورقاء من عند النبي صلى الله عليه و سلم عامدين إلى مكة بعث في إثرهما الزبير و أعطاه رايته و أمره على خيل المهاجرين و الأنصار، و أمره أن يركز رايته بأعلى مكة بالحُجُون، و قال: لا تبرح حيث أمرتك أن تركز رايتي حتى آتِيكَ و من تَمَّ دخل رسول الله صلى الله عليه و سلم مكة و ضربت هناك قبته. و أمر خالد بن الوليد فيمن أسلم من قضاة و بني سليم أن يدخل من أسفل مكة و بها بنو بكر فد استنفرتهم قريش و بنو الحارث بن عبد مناف و من كان من الأحابيش، أمرتهم قريش أن يكونوا بأسفل مكة، و إن صفوان بن أمية و عكرمة بن أبي جهل و سهيل بن عمرو، و كانوا قد جمعوا أناسًا بالحندمة ليقاتلوا، و قال النبي صلى الله عليه و سلم لخالد و الزبير حين بعثهما: لا تقاتلا إلا من قاتلكم و أمر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس من كُدي،

فقال سعد حين توجه داخلاً: اليوم يوم المَلْحَمَة، اليوم تُسْتَحَلُّ الحَرَمَةُ، فسمعها رجل من المهاجرين فقال: يا رسول الله، اسمع ما قال سعد بن عبادة، و ما نأمن أن يكون له في قريش صولة، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم لعلي بن أبي طالب: أدركه فخذ الراية منه، فكن أنت الذي تدخل بها فلم يكن بأعلى مكة من قبل الزبير قتال، و أما خالد بن الوليد فقدم على قريش و بني بكر و الأحابيش بأسفل مكة، فقاتلهم فهزمهم الله، و لم يكن بمكة قتال غير ذلك".

و قتل من المشركين قريب من اثني عشر أو ثلاثة عشر، و لم يُقتل من المسلمين إلا رجل من جُهَيْنَةَ يقال له: سَلَمَة بن الميلاء، من خيل خالد بن الوليد، و رجلان يقال لهما كُرْزُ بن جابرٍ و حُنَيْسُ بن خالد، كانا في خيل خالد بن الوليد، فشدّا عنه و سلكا طريقاً غير طريقه، فقتلا جميعاً.

و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم قد عهد إلى أمراءه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة أن لا يقاتلوا أحداً إلا من قاتلهم، إلا أنه قد عهد في نَقَرِ سَمَاهم أمر بقتلهم، و إن وُجدوا تحت أستار الكعبة. منهم: عبد الله بن سعد بن أبي سرح، و إنما أمر بقتله لأنه كان قد أسلم فارتدّ مشركاً، ففرّ إلى عثمان، و كان أخاه من الرضاعة، فغيبه حتى أتى به رسول الله صلى الله عليه و سلم بعد أن اطمأن أهل مكة، فاستأمن له.

و عبد الله بن حَظَل، كان رجلاً من بني تميم بن غالب، و إنما أمر بقتله لأنه كان مسلماً فبعثه رسول الله صلى الله عليه و سلم مصدّقاً، و كان له مولى يخدمه و كان مسلماً، فترل منزلاً و أمر المولى أن يذبح له تيساً و يصنع له طعاماً، و نام فاستيقظ و

لم يصنع له شيئاً فعدا عليه فقتله، ثم ارتد مشركاً، و كانت له قَيْنَتَانِ تَغْنِيَانِ بِهِجَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلِمَ، فَأَمَرَ بِقَتْلِهِمَا مَعَهُ.

وَ الْحُوَيْرِثُ بْنُ نُقَيْدِ بْنِ وَهَبٍ، كَانَ مِمَّنْ يُؤْذِيهِ بِمَكَّةَ.

وَ مِقْيَسُ بْنُ صَبَابَةَ، وَ إِنَّمَا أَمَرَ بِقَتْلِهِ، لِقَتْلِهِ الْأَنْصَارِيِّ الَّذِي قَتَلَ أَخَاهُ خَطَأً وَ رَجَّعَهُ إِلَى قُرَيْشٍ مَرْتَدًّا.

وَ سَارَةَ؛ مَوْلَاةٌ كَانَتْ لِبَعْضِ بَنِي الْمُطَلَبِ كَانَتْ مِمَّنْ يُؤْذِيهِ بِمَكَّةَ.

وَ عَكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ، فَأَمَّا عَكْرَمَةُ فَهَرَبَ إِلَى الْيَمَنِ، وَ أَسْلَمَتْ أَمْرَأَتُهُ أُمُّ حَكِيمِ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، فَاسْتَأْمَنَتْ لَهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلِمَ فَأَمَّنَهُ، فَخَرَجَتْ فِي طَلَبِهِ حَتَّى أَتَتْ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلِمَ فَأَسْلَمَ.

وَ أَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَطْلٍ، فَقَتَلَهُ سَعْدُ بْنُ حَارِثِ الْمَخْزُومِيِّ وَ أَبُو بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيُّ، اشْتَرَكَا فِي دَمِهِ، وَ أَمَّا مِقْيَسُ بْنُ صَبَابَةَ، فَقَتَلَهُ ثُمَيْلَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، رَجُلٌ مِمَّنْ قَوْمُهُ، وَ أَمَّا قَيْنَتَا ابْنِ خَطْلٍ؛ فَقُتِلَتْ إِحْدَاهُمَا وَ هَرَبَتِ الْأُخْرَى حَتَّى اسْتَوْمَنَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلِمَ، فَأَمَّنَهَا، وَ أَمَّا سَارَةَ، فَتَغَيَّبَتْ حَتَّى اسْتَوْمَنَ لَهَا فَأَمَّنَهَا، فَعَاشَتْ حَتَّى أَوْطَأَهَا رَجُلٌ مِمَّنْ النَّاسُ فَرَسًا لَهُ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ بِالْأَبْطَحِ فَقَتَلَهَا، وَ أَمَّا الْحُوَيْرِثُ بْنُ نُقَيْدٍ، فَقَتَلَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ.

فلما دخل رسول الله صلى الله عليه و سلم مكة **"وقف قائماً على باب الكعبة و**
قال: لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، و نصر عبده، و هزم الأحزاب وحده، ألا
إن كل مأثرة أو دم أو مالٍ في الجاهلية يدعى فهو تحت قدمي هاتين، إلا سداًنة

البيت و سقاية الحاج، يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية و تعظُمها بالآباء، الناس من آدم و آدم حُلِق من تراب، ثم تلا: {يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ} [الحجرات: 13] الآية، يا أهل مكة، ماذا ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيرًا، أخُ كريم و ابنُ أخٍ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء، فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه و سلم، و قد كان الله أمكنه من رقاہم عنوة، فلذلك سُمِّي أهل مكة الطلقاء". ثم اجتمع الناس للبيعة؛ فجلس لهم رسول الله صلى الله عليه و سلم على الصفا، و عمر بن الخطاب أسفل منه يأخذ على الناس، فبايعوه على السمع و الطاعة فيما استطاعوا، فلما فُوغ من بيعة الرجال بايع النساء.

قال عروة بن الزبير: خرج صفوان بن أمية يريد جدة ليركب منها إلى اليمن، فقال عمير بن وهب الجمحي: يا نبي الله إن صفوان بن أمية سيّد قومي، و قد خرج هاربًا منك ليقذف نفسه في البحر، فأمنه، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: هو آمن، قال: يا رسول الله أعطني شيئًا يعرف به أمانك، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه و سلم عمامته التي دخل بها مكة، فخرج بها عمير حتى أدركه بجدة، و هو يريد أن يركب البحر، فقال: يا صفوان فداك أبي و أمي أذكرك الله في نفسك أن تهلكها، فهذا أمان رسول الله صلى الله عليه و سلم قد جئتك به، فقال: ويلك اغرُب عني فلا تكلمني، قال: أي صفوان فداك أبي و أمي، أفضلُ الناس و أبرُّ الناس، و أحلمُ الناس، و خيرُ الناس، ابن عمك عِزُّه عزك و شرفه شرفك و ملكه ملكك، قال: إني أخافه على نفسي، قال: هو أحلم من ذلك و أكرم، فرجع به معه حتى وقف به على رسول الله صلى الله عليه و سلم، فقال صفوان: إن هذا يزعم أنك أمّنتني؟ قال: صدق، قال فاجعني في أمري بالخيار شهرين، قال أنت فيه بالخيار أربعة أشهر.

قال ابن إسحاق: و كان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف، و كان فتح مكة لعشر ليالٍ بَقِينَ من رمضان سنة ثمان، وأقام رسول الله صلى الله عليه و سلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة.

ثم خرج إلى هوازن و ثقيف، و قد نزلوا حنينًا:

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا أبو نعيم، حدثنا شيبان عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة، أن خزاعة قتلوا رجلاً... و قال محمد بن إسماعيل: قال عبد الله بن رجاء: حدثنا حرب عن يحيى، حدثنا أبو سلمة " حدثنا أبو هريرة: " **أنه عام فتح مكة قتلت خزاعة رجلاً من بني لَيْث بقتيل لهم في الجاهلية، فقام رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: إن الله حبس عن مكة الفيل و سلط عليهم رسوله و المؤمنين، ألا و إنما لم تَحِلَّ لأحد قبلي، و لا تحلُّ لأحدٍ من بعدي، ألا و إنما أُحِلَّت لي ساعةً من نهار، ألا و إنما ساعتي هذه، حرام لا يُحْتَلَى شوْكُها و لا يُعْضَدُ شَجْرُها، و لا يَلْتَقِطُ ساقطَها إلا منشدٌ، و مَنْ قُتِلَ له قَتِيلٌ فهو بخير النظر إما أن يُوَدَّى و إما أن يقاد، فقام رجل من أهل اليمن يقال له أبو شاهٍ فقال: اكتب لي يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: اكتبوا لأبي شاه، ثم قام رجل من قريش فقال: يا رسول الله إلا الإِذْخِرَ فإننا نجعله في بيوتنا و قبورنا، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "إلا الإِذْخِرَ".** أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك، عن أبي النضر - مولى عمر بن عبيد الله - أن أبا مرّة مولى أم هانئ بنت أبي طالب أخبره أنه سمع أم هانئ بنت أبي طالب تقول: " **ذهبتُ إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم عام**

الفتح، فوجدته يغتسل، و فاطمة ابنته تستره بثوبٍ، قالت: فسَلَّمْتُ، فقال: من هذه؟ فقلت: أنا أم هانئ بنت أبي طالب، قال: مرحباً بأم هانئ، فلما فرغ من غسله قام فصلَّى ثماني ركعات مُلتَحِفاً في ثوبٍ واحد، ثم انصرفَ فقلت له: يا رسول الله، زعم ابن أُمي، عليُّ بن أبي طالب، أنه قاتلُ رجلاً أجزته، فلان بن هبيرة، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: قد أجزنا من أجزت يا أم هانئ، و ذلك ضحى". قوله عزّ و جلّ: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ} إذا جاءك نصر الله يا محمد على من عاداك و هم قريش، {وَ أَلْفَتْحُ} فتح مكة.

{ وَ رَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا } (2)

{ وَ رَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا }، زُمرًا و أرسالاً، القبيلة بأسرها، و القوم بأجمعهم من غير قتال.

قال الحسن: لما فتح الله عزّ و جلّ مكة على رسوله قالت العرب بعضها لبعض: إذا ظفر محمد بأهل الحرم – و قد كان الله أجارهم من أصحاب الفيل – فليس لكم به يدان، فكانوا يدخلون في دين الله أفواجًا بعد أن كانوا يدخلون واحدًا واحدًا، و اثنين اثنين.

و قال عكرمة و مقاتل: أراد بالناس أهل اليمن:

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الحرقى أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أخبرنا عبد الله بن عمر الجوهري حدثنا أحمد بن الكشميهني حدثنا علي بن حجر حدثنا إسماعيل بن جعفر حدثنا محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن

أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: **"أتاكم أهل اليمن هم أضعف قلوبًا و أرق أفئدة، الإيمان يمان و الحكمة يمانية"**.

{فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ اسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا} (3)

{فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ اسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا} ، فإنك حينئذ لاحقٌ به .

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا أبو النعمان، حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان عمر يُدْخِلني مع أشياخ بدر فقال بعضهم: لم تُدْخِل هذا الفتى معنا و لنا أبناءٌ مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمتم، قال: فدعاهم ذات يوم و دعاني معهم، قال: و ما رأيته دعاني يومئذ إلا ليُرِيهم مني، فقال: ما تقولون في قوله: **{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ}** حتى ختم السورة؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله و نستغفره إذا جاء نصرنا و فتح علينا، و قال بعضهم: لا ندري، و لم يقل بعضهم شيئاً، فقال لي: يا ابن عباس أكذلك تقول؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله صلى الله عليه و سلم أعلمه به: **{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ}** فتح مكة، فذلك علامة أجلك **{فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ اسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا}**، فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثني عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق، عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: **"كان**

رسول الله صلى الله عليه و سلم يُكثِرُ أن يقولَ في ركوعه و سجوده: "سبحانك اللهم ربنا و بحمدك، اللهم اغفر لي" يتأول القرآن.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا محمد بن المثني، حدثني عبد الأعلى، حدثنا داود عن عامر، عن مسروق، عن عائشة؛ قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يُكثِرُ من قول: "سبحان الله و بحمده أستغفر الله و أتوب إليه"، قالت: فقلت يا رسول الله، أراك تكثر من قول: "سبحان الله و بحمده، أستغفر الله و أتوب إليه؟" فقال: أخبرني ربي أي سَأرى علامةً في أمتي، فإذا رأيتها أَكثِرُ من قول: سبحان الله و بحمده، أستغفر الله و أتوب إليه، فقد رأيتها: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ}، فالفتح فتح مكة، {وَ رَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ اسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا} ". قال ابن عباس: لما نزلت هذه السورة علم النبي صلى الله عليه و سلم أنه نُعيِتَ إليه نفسه.

قال الحسن: أعلم أنه قد اقترب أجله فأمر بالتسبيح و التوبة، ليختم له بالزيادة في العمل الصالح.

قال قتادة و مقاتل: عاش النبي صلى الله عليه و سلم بعد نزول هذه السورة سنتين.